جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

التصاقب الصوتي في العربية
الضاد والظاء نموذجا
دراسة لسانية زمانية

الدكتور

يحيى المتعلق باللّه الهاشمي

أستاذ لغويات تطبيقية مشارك بجامعتي نواكشوط والقصيم

العدد الحادي والعشرون

للعام ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م

الجزء السادس

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٧م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050

بسم الله الرحمن الرحيم

بنية البحث :

- **تأطير**
- **القسم الأول**: النصوص التأسيسية عند الرواد
- **القسم الثاني**: تطور العلاقة بين الصوتين عبر العصور الإسلامية
- **نتائج الدراسة**

ملخص الدراسة :

تتناول هذه الدراسة تطور صوت الضاد بين القدماء والمحدثين؛ حيث تضمن القسم الأول من الدراسة استعراض أقوال العلماء الرواد المؤسسين لعلوم العربية في هذا المجال، حيث تم تحديد مخارج الحروف بالوصف العلمي وإبراز السمات لكل صوت (حرف)، وذلك حسب زمانهم والقرون السابقة لهم،

بينما وصفت الدراسة في القسم الثاني ما حدث عبر العصور من تطور في طريقة النطق بالضاد وتقاربه مع مجموعة من الحروف في مقدمتها الظاء؛ ويزداد ذلك التقارب بتقادم الزمن وظهور العاميات وانتشارها بالتوازي مع الفصحى.

وقد ختمت الدراسة برصد أهم النتائج التي توصل إليها الباحث ومنها:

١. اشتراك الصوتين في أغلب السمات مع اختلافهما في المخرج (المدرج)

٢. تشابه الصوتين في الخطاب اليومي (العامية) مما جعل بعض الدارسين ينعى صوت الضاد في الاستعمال.

٣.ثبات صوت الضاد في الفصحى لعوامل ثقافية واجتماعية رغم اختفائه في الاستعمال اليومي (العامية)

٤.تولد الغموض لدى كثير من المتعلمين حول ظاهرة التصاقب الصوتي بين الحرفين ما جعل العامة يخلطون بينهما في كثير من الاستعمال اليومي، بينما يبقى الصوتان متمايزين في مستوى لغة الأدب (الفصحى)

منهج الدراسة

تنطلق هذه الدراسة من منهج وصفي تاريخي، يهدف إلى رصد تطور السمات المشتركة والسمات الفارقة بين حرفي الضاد والظاء ، بوصفهما صوتين متمايزين في اللسان العربي المضري الذي نزل به القرآن الكريم، وتكلم به العرب شعرا ونثرا في شبه الجزيرة العربية والبلاد العربية المجاورة قبيل ظهور الإسلام وأثناءه والقرون التالية [١]:

تتوزع هذه الدراسة في قسمين يمثلان بنية البحث:

- **القسم الأول:** النصوص التأسيسية عند الرواد.
- **القسم الثاني:** تطور العلاقة بين الصوتين عبر العصور الإسلامية
- **نتائج وآفاق**

(١)عبد الرحمن بن خلدون / المقدمة ط ٤ دار القلم ١٩٨١ بيروت- لبنان ص ٣٧٩ وص ٤٣٧ وص ٥٤٥

تأطير

في البداية نود الإشارة والتذكير بالأمور التالية :

١. اقتصار هذه الدراسة على العربية الفصحى (لغة مضر) دون غيرها من اللهجات أو اللغات العربية الأخرى.

٢. انتقال اللسان المضري بسبب كونه لسان القرآن الكريم والصحابة ورجال العلم والأمر من مرحلة الرواية بالمشافهة إلى مرحلة الكتابة والتدوين، وتحوله من فترة الانطباع والسليقة والتلقين إلى فترة التأمل والوصف والتقنين (من صدر الإسلام ...إلى نهاية القرن الرابع للهجرة) [١].

٣. اتصال النقل بالتواتر رواية وإجازة دون انقطاع بين أجيال الثقات من العلماء يستلم الخلف من السلف مباشرة وبشكل متصل العلوم والمعارف، وتأكد منها علوم القرآن الكريم واللغة العربية وسائر علوم الشريعة[٢].

٤. كون عوامل التحدي التي واجهت اللغة العربية وأصحابها (من استيعاب العلوم الأصلية والمترجمة، وتأثر اللسان المضري بغيره جراء الفتوح الإسلامية وانتشار العرب معها في الأصقاع، وتقادم الزمن بعصور الفصاحة والاستشهاد ...) ، أقول كانت هذه التحديات ذات نتائج علمية وحضارية خصبة ... نذكر منها انبثاق عقول فذة من أبناء الأمة الإسلامية تستجيب لمتطلبات التأسيس والاستيعاب والتطور وبناء المعارف. فانبرى من كل جيل عباقرته في المجالات المختلفة الكل في مجال تخصصه... ولا داعي لذكر الكثير من الأمثلة أو سرد الأسماء... ففي مجال اللغة والقراءات تطول القائمة وتتعذر الإحاطة ابتداء من الصحابة ومرورا بأبي الأسود الدؤلي

---

(١) صبحي الصالح / مباحث في علوم القرآن ص٦٥ وما بعدها ط دار العلم للملايين (د. ت)
(٢) المرجع السابق ص ١٢١ وما بعدها

والخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه والفراء والأصمعي والقالي، ومعهم كذلك مشاهير القراء[١]: نافع وابن كثير وأبو عمرو بن العلاء وعاصم وحمزة والكسائي وأبو جعفر ويعقوب وخلف البزار ... وإلى آخر اللائحة المفتوحة من القمم العلمية.

٥. كل هؤلاء وغيرهم تصدوا لجمع اللسان المضري وعملوا على حفظ القرآن الكريم في لفظه وخطه المتواترين منذ عهد المصطفى صلى الله عليه وسلم وإلى عصر كل واحد منهم، ثم تواصل النقل جيلا فجيلا؛ سماعا في المرويات وإجازة في المرسومات...وما يزال النقل متصلا مستمرا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[٢].

ولعل القارئ بعد تحديد المجال يتطلع إلى إشكالية الدراسة؟

الإشكالية :

ينحل علم اللسانيات إلى فروع : هي الأصوات و التركيب والدلالة، وفي هذه الدراسة نتناول واحدة من الظواهر الصوتية التي شغلت حيزا مهما من اهتمام القراء وعلماء اللغة على حد سواء: «العلاقة بين الضاد والظاء».

ورغم كثرة التناول لهذه الظاهرة – حيث أحصى بعضهم خمسين عملا[٣]– فإن بحثها ما يزال موضوعا متجدد الأهمية لما لوصف هذه العلاقة من أبعاد علمية ومعرفية لا تخلو من خصوبة وفائدة.

---

(١) عبد الرزاق بن علي / الفوائد التجويدية في شرح المقدمة الجزرية ط ١ / ١٩٩٧ المدينة المنورة ص ١١٦

(٢) سورة الحجر، الآية ٩

(٣) حاتم الضامن في مجلة المجمع العملي العراقي مجلد ٣٢ ،٣٣ ص ١٩٨٢/٣٨٩ بغداد.

القسم الأول:

العلاقة بين الحرفين من خلال النصوص التأسيسية:

نعني بالنصوص التأسيسية ما ورد عن الصوتين في مؤلفات الخليل وسيبويه، ومن عاصرهم أو جاء بعدهم من أهل اللغة، وسنقتطف من تلك المراجع الفقرات التي تركز على :

أ. الأحياز لكل من الصوتين.

ب. الصفات لكل منهما أيضا.

ج. المقارنة بينهما ائتلافا واختلافا.

أولا : الأحياز /المخارج

المراد بمخارج الحروف (اصطلاحا) «محل خروج الحرف وتمييزه من غيره وتسمى أيضا مدارج الحروف، كما يسميها الخليل أحياز الحروف»(١).

ويختلف العلماء في عدد مخارج حروف العربية من أربعة عشر مخرجا عند الفراء والجرمي وقطرب وابن كيسان، إلى ستة عشر عند سيبويه، وسبعة عشر عند الخليل، حتى انتهى بعض علماء الصرف إلى اعتبار عدد المخارج بعدد الحروف.

١_ قال الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ)(٢):

« فالعين والحاء (والهاء) والخاء والغين: حلقية لأن مبدأها من الحلق، والقاف والكاف لهويتان: لأن مبدأهما من اللهاة،

---

(١) الخليل بن أحمد الفراهيدي / كتاب العين ح ١ ص ٥٧ –٥٨ تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ط ١ دار الرشيد ١٩٨٠

(٢) الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، مرجع مذكور ج ١ ص ٥٨

والجيم والشين والضاد شجْرية: لأن مبدأها من شَجْر الفم أي مفرح الفم،

والصاد والسين والزاي أسلية: لأن مبدأها من أسلة اللسان وهي مستندة طرف اللسان،

والطاء والتاء والدال قطعية: لأن مبدأها من قطع الغار الأعلى،

والظاء والذال والثاء لثوية: لأن مبدأها من اللثة،

والراء واللام والنون ذلقية: لأن مبدأها من ذلق اللسان وهو تحديد طرفي ذلق اللسان،

والفاء والياء والميم شفوية: لأن مبدأها من الشفة،

والياء والواو والألف والهمزة: هوائية في وجيز واحد لأنها لا يتعلق بها شيء».

فنسب كل حرف إلى مدرجته وموضوعه الذي يبدأ منها أبنية كلام العرب.

٢_ وقال سيبويه: (ت ١٨٠هـ)[١] عن مخرج الضاد :

«ومن بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد».

ويقول أيضا في معرض حديثه عن الضاد الضعيفة وهي عنده من الحروف المستهجنة :

«إلا أن الضاد الضعيفة (غير الفصيحة) تتكلف من الجانب الأيمن، وإن شئت تكلفتها من الجانب الأيسر وهو أخف لأنها من حافة اللسان منطبقة، لأنك جمعت في الضاد تكلف الإطباق مع إزالته عن موضعه، وإنما جاز هذا فيها لأنك تحولها من اليسار إلى الموضع الذي في اليمين، وهي أخف فسهل تحويلها إلى

(١) سيبويه (أبو بشر) عمرو بن عثمان / الكتاب تحقيق عبد السلام هارون ط ٣ عالم الكتب ١٩٨٣ ح ٤ ص ٤٣٣

الأيسر لأنها تصير في حافة اللسان في الأيسر إلى مثل ما كانت في الأيمن ثم تنسل من الأيسر حتى تتصل بحروف اللسان كما كانت في الأيمن»[١]، وفي هذا النص ما فيه من وصف سيبويه لطرو حرف غير الحرف الفصيح الذي نزل به القرآن الكريم وشاع عند العرب حتى سموا به لغتهم فقالوا: لغة الضاد.

ويقول في مخرج الظاء:

«ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والثاء»[٢]،

ويقول عنهما في سياق آخر: «ولولا الإطباق لصارت الطاء دالا والصاد سينا والظاء ذالا، ولخرجت الضاد من الكلام لأنه ليس شيء من موضعها غيرها[٣]».

٣_ ويرى ابن جني (ت ٣٩٢هـ)[٤] أن الضاد حرف خاص بلغة العرب، يقول في كتابه سر صناعة الإعراب[٥]:

«وأعلم أن الضاد للعرب خاصة ولا توجد في كلام العجم إلا في القليل»، ثم يعيد ابن جني أقوال سيبويه في مخرج الضاد وصفاتها مشيرا إلى الضاد الضعيفة وأنها مستهجنة.

٤_ ويذهب ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦هـ) مذهب ابن جني في كون الضاد حرفا خاصا بالعرب، بل هو عنده من جملة أمور يرى اختصاص العرب بها

---

(١) المرجع نفسه، ص ٤٣٢ – ٤٣٣

(٢)المرجع نفسه، ص ٤٣٣

(٣)المرجع نفسه، ص ٤٣٦

(٤)عبد الفتاح إبراهيم / مدخل في الصوتيات / دار الجنوب – تونس ص ٩٢

(٥) أبو الفتح عثمان بن جني، سر صناعة الإعراب، ط١، ٢٠٠٠، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ص٢١٤ – ٢١٥

(مثل الكرم والوفاء والشجاعة وحفظ الأنساب، ورجاحة العقول وكمال الفصاحة والبلاغة...).

يقول ابن سنان الخفاجي[١]: «قالوا مما اختصت به لغة العرب من الحروف وليس هو في غيرها حرف الظاء، وقال آخرون حرف الظاء والضاد ، ولذلك قال المتنبي:

* وبهم فخر كل من نطق الضاد *

يريد : وبهم فخر جميع العرب».

وإذا تتبعنا الموضوع في أمهات مراجع اللغة والقراءات وجدنا جهود الأجيال اللاحقة لا تكاد تخرج عن النقل الأمين والشرح الرصين لما وضعه الرواد الأوائل وخاصة الخليل وسيبويه من تحديدات لمخارج الحروف وصفاتها مع تنبه بعضهم لطرو بعض الظواهر في عصره ومحاولة رصدها ومقارنتها بما كان متعارفا من قبل.

فقد تنبه بعضهم في وقت مبكر نسبيا (سيبويه) إلى صعوبة النطق بالضاد الضعيفة واستهجانها (يراجع النص السابق).

٥_ ولكن مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ) كان حاد الشعور بما حدث من ضعف السليقة فجعل اعتناء القراء بالضاد واجبا، يقول[٢]: «ولابد له (القارئ) من التحفظ بلفظ الضاد حيث وقعت، فهو أمر يقصر فيه أكثر من رأيت من القراء والأئمة لصعوبة من لم يتدرب

(١) أبو محمد عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي الحلبي، سر الفصاحة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ١٩٨٢ص٥٢

(٢) أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تحقيق أحمد حسن فرحات، ط٣، دار عمار، الأردن ص ١٨٤

فيه (....)، والضاد أصعب الحروف تكلفا في المخرج وأشدها صعوبة على اللافظ، فمتى لم يتكلف القارئ إخراجها على حقها أتى بغير لفظها وأخل بقراءته، ومن تكلف ذلك وتمادى عليه صار له التجويد بلفظها عادة وطبعا وسجية»[1].

٦_ يقول ابن يعيش (ت ٦٤٣ هـ):

«والضاد الضعيفة من لغة قوم اعتاصت عليهم الضاد(بمعنى صعبت) ؛ فربما أخرجوها ظاء وذلك أنهم يخرجونها من طرف اللسان وأطراف الثنايا، وربما راموا إخراجها من مخرجها فلم يتأت لهم فخرجت بين الضاد والظاء».

بإعادة النظر كرة ثانية في النصوص السابقة نخرج بملاحظات منها :

١- أن الضاد ضادان؛ ضاد فصيحة (تامة)، وضاد ضعيفة (ناقصة).

٢- أن مخرج الضاد (الفصيحة)؛ هو شجر الفم من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس، ولا يشاركها في موضعها غيرها.

٣- أن مخرج الضاد (الضعيفة)؛ هو أحد جانبي حافة اللسان بتكلف التنقل بين الجانبين، وأنها تتصل بحروف اللسان (اللام ، الدال، والراء).

٤- أن مخرج الظاء هو... من طرف اللسان وأطراف الثنايا مبدؤها من اللثة.

٥- يفصل بين مخرج الحرفين مخارج الحروف التالية: ص، س، ر، ط، د، ت.

٦- اتفاق النصوص التأسيسية على اختلاف مخرجي الحرفين.

(١) المرجع السابق ص ١٨٤-١٨٥ وكذلك عبد الرزاق بن علي / الفوائد التجويدية ص ١١٣

ثانيا: الصفات

والمقصود بالصفات: السمات والكيفيات التي يتصف بها صوت الحرف أثناء النطق به، وبالمخرج يتميز عن غيره من أصوات الحروف ، كما حددها علماء العربية والقراءات أولا، ثم مقارنة ذلك بأقوال العلماء في مجال اللغة من المتأخرين ثانيا(١).

وللتذكير نقول إن لصفات أصوات الحروف العربية علاقة بثلاثة أمور إليها ترجع ومنها تنشأ وعليها تثبت، وهذه الأمور الثلاثة هي:

١. كيفية خروج الهواء عند النطق بالحروف: ومنها منشأ صفات الشدة والرخاوة والتوسط والانحراف.

فالشدة ناشئة عن وجود عائق أمام الهواء الخارج من الرئتين عند النطق بالصوت/ الحرف ثم يزول العائق فجأة.

والرخاوة ناشئة عن عدم وجود ذلك العائق كليا أو جزئيا.

والتوسط والانحراف ينشآن أيضا عن تغيير في المجرى والحركة.

وتنقسم الاصوات/الحروف تبعا لكيفية خروج الهواء إلا مجموعات:

- ✓ الشديدة (٨): ب، ت، د، ج، ط، ك، ق، ء
- ✓ – الرخوة (١٤): ف، ث، ذ، ظ، ز، س، ص، ش، خ، غ، ح، ع، هـ، ض.
- ✓ الانحراف (٤): ر، ل، ن، م، و، ي. (يرملون)

---

(١) أبو إسحاق ابراهيم بن أحمد المارغني التونسي، النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع، طبعة ١٩٩٥ دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ص ١٦٦-١٦٧ ونصه: "الصفات جمع صفة والمراد بها هنا كيفية عارضة للحرف عند النطق به من سليم الطبع كجري النفس اللازم للهمس وعدم جريه اللازم للجهر ونحو ذلك".

٢. وعلاقة اهتزاز الأوتار الصوتية أو عدم اهتزازها بصفتي الجهر والهمس هي علاقة السبب بالمسبب:

- فإلى اهتزاز الأوتار ترجع صفة الجهر.
- وإلى عدم اهتزاز الأوتار ترجع صفة الهمس.
- والمجهور من الحروف العربية: ب ، ج، د، ذ، ر، ز، ض، ظ، ع، غ، ل، م ، ن، و، ي، والمهموسة: س، كـ ، ت، ف، ح، ثـ ، هـ ، ش ، خ، ص.

٣. وضع أصل اللسان ارتفاعا وانخفاضا أثناء النطق بالصوت /الحرف فإلي ارتفاع مؤخرة اللسان نحو الطبق أثناء النطق بالحرف ترجع صفة التفخيم وتسمى الحروف المفخمة مستعلية ومطبقة على تفاوت بين تلك المصطلحات، فضلا عن اختلاف بعض العلماء في درجات تلك الصفات؛

ففي النجوم الطوالع[١]: «والإطباق أبلغ من الاستعلاء وأخص منه. أما كونه أبلغ فلأن اللسان يرتفع بحرفه وينطبق به ، بخلاف الاستعلاء فإن الحرف يرتفع بحرفه فقط، ولكونه أبلغ خصت حروفه من بين حروف الاستعلاء بتفخيم أقوى وإن تفاوتت فيه على حسب تفاوتها في الإطباق فأعلاها إطباقا وتفخيما الطاء المهملة لجهرها وشدتها، وإلى عدم ارتفاع مؤخر اللسان ترجع صفة الترقيق والانسفال».

(١) ابراهيم المارغني النجوم الطوالع على الدرر اللوامع على أصل مقرأ الإمام نافع، مرجع مذكور، ص ١٦٩

وكمثال على استمرار المتأخرين من علماء في العربية والقراءات على رأي الرواد مع الشرح والتعليل دون النقض والتبديل نذكر قول شمس الدين محمد بن محمد الجزري في منظومته(المقدمة)[١].

والضاد باستطالة ومخرج ∴ ميز من الظاء (وكلها تجي)

وقول ابراهيم بن سعد في منظومته إغاثة اللهوف في مخارج الحروف[٢]:

للضاد ستة بلا شقاق ∴ جهر ورخو ثم بالإطباق
مستعليا ومصمتا مستطلا ∴ فاقبل (وخذ للطاء ستا مجلا)
جهرا وشدة كذا الاستعلا ∴ وأطبقن واصمتن مقلقلا
والظا اجهرن بالرخو والإطباق ∴ مستعليا ومصمتا يا راقي

وقول على البيسوسي في القول المألوف في مخارج الحروف[٣] عن الحرفين:

للضاد اصمات مع استعلا جهر ∴ إطالة رخو وإطباق شهر
للظاء صمت معإطباق عرف ∴ علو وجهر ثم رخو قد وصف

✓ – نخرج من قراءة النصوص السابقة ببعض النتائج الأولية :

١. إن صوت الضاد (في عصور الفصاحة والاستشهاد) كان حرفا عربيا خالصا بمعنى أنه لا يوجد في غير العربية.

(١) محمد خالد العطار، المجموع الكامل للمتون، ط١، ١٤٢٧هـ دار الفكر بيروت لبنان. ص ٢٢٥

(٢) المرجع السابق ص ٢٣٣

(٣) المرجع السابق ص ٢٣١

٢. الضاد الفصيحة هي التي عرفها القدماء (الخليل وسيبويه) وحددوا مخرجها وصفاتها دون أن يصفوها بالضعف. بل نصوا على قوتها واستقلالها بمخرجها (سيبويه).

٣. ظهور ضاد مستهجنة ؛جراء الاختلاط الحضاري بين فصحاء العرب وغيرهم من الامم الداخلة في الإسلام حديثا، لها صفات وحيز مضطرب تتكلف من أحد الجانبين.

٤. كون هذه الضاد الضعيفة (المستهجنة)طارئة عارضة بسبب اعتياص الضاد القوية (الفصيحة)على قوم عجزوا عن الأداء الفصيح فلم يعد لديهم إلا الرجوع إلى تكلف الضاد الضعيفة بالأوصاف التي وصفها به سيبويه الذي يصرح بضعفها صفة ومخرجا، وأنها من الحروف المستهجنة.

٥. ومع تزايد البعد من عصور الفصاحة واستحكام الامتزاج بين العرب المولدين وغيرهم من الأمم شاعت هذه الضاد الضعيفة خاصة في العراق والأندلس لما للبلدين من رسوخ في الحضارة، والمزج العرقي، والتعرض لأنواع الأحكام، والاتصال المباشر بغير العرب[١].

(١) ابن خلدون في المقدمة، مرجع مذكور ٥٤٥

ثالثا: المقارنة بين الصوتين /الحرفين

✓ فإذا رجعنا البصر كرة أخرى إلى النصوص السابقة رصدنا العلاقة بين الضاد والظاء كالتالي:

الضاد	الظاء
أ – في المخرج / الحيز	
«من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس ، لأن مبدأها من شجر الفم وليس شيء من موضعها غيرها إلا أن الضاد الضعيفة تتكلف من الجانب ....»	«مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا لأن مبدأها من اللثة...»
ب – في الصفات	

بشكل متوسط مع الضاد	→	الاستعلاء	←	بشكل ضعيف مع الظاء
بشكل متوسط مع الضاد	→	الإطباق	←	بشكل ضعيف مع الظاء
بشكل قليل مع الضاد	→	الرخاوة	←	بشكل أكثر مع الظاء
بشكل قوي مع الضاد	→	الجهر	←	بشكل ضعيف مع الظاء
	→	الإصمات	←	
اختصاص الضاد بالاستطالة	→	بالاستطالة	←	لا وجود للاستطالة في الظاء

رابعا: في الفويرقات الدقيقة [١]

١.	التفاوت في درجة الاطباق:	فالظاء ضعيف الاطباق والاستعلاء، بينهما الضاد متوسطهما.	←	(قوة الضاد وضعف الظاء)
٢.	التفاوت في الرخاوة:	فالظاء كثير الرخاوة، بينما الضاد قليل الرخاوة.	←	(قوة الضاد وضعف الظاء)
٣.	التفاوت في الجهر:	فالظاء قليل الجهر، بينما الضاد كثير الجهر	←	(قوة الضاد وضعف الظاء)
٤.	التفاوت في كمية الهواء الخارج مع الحرف/	فالظاء يخرج معه من الهواء أكثر، بينما يخرج مع الضاد من الهواء أقل.	←	(قوة الضاد وضعف الظاء)

(١) عبد الرزاق بن علي / الفوائد التجويدية على شرح المقدمة الجزرية، مرجع مذكور، ص ١٠٥ وما بعدها

خلاصة القسم الأول:

من النصوص والبيانات والمقارنات السابقة نخلص إلى النتائج التالية:

١-اختلاف الصوتين في المخرج اتفاقا.

٢-اختصاص الضاد بصفة الاستطالة اتفاقا.

٣-التفاوت بين الصوتين في الصفات المشتركة.

٤-قوة الضاد (الفصيحة)لاتِّصافها بدرجة أعلى من الظاء في صفات الشدة.

٥-ضعف الظاء لاتِّصافها بدرجة أعلى من الضاد في صفات اللين والرخوة.

٦-وجود ضاد (ضعيفة) طرأت بعد العهد الاول، لها صفاتها وحيزها يتكلفها قوم اعتاصت عليهم الضاد (الفصيحة)، فكانت هذه الضاد الضعيفة المستهجنة قريبة من الظاء.

القسم الثاني :

تطور العلاقة بين الحرفين

عبر العصور الإسلامية في ضوء وصف العلماء :

من خلال تتبع التراث العربي الإسلامي المكتوب في موضوع العلاقة بين صوتي الضاد والظاء يلحظ القارئ شدة اعتناء أهل الذكر في العصور المتتالية بالأداء السليم المتواتر مهما طالت العهود وتباعدت عصور الفصاحة وتمددت سلاسل عنعنة الطرق والروايات ...

كما سيلحظ صعوبة حصر أغلب علماء المسلمين في تخصص معين، لتأصل النزعة الموسوعية عند أكثرهم، رغم شهرة بعضهم بعلوم القرآن واشتهار بعضهم باللغة والأدب وغلبة الفقه على آخرين ... ومنهم من جمع ذلك كله أو بعضه إلى علوم ومعارف أخرى.

ولكنهم مع ذلك – وربما بسبب ذلك – يبقون أساطين البحث اللغوي خاصة، والمرجع المعتمد لجمهور الأمة في علوم القرآن والعربية وسائر علوم الشريعة ، لا سيما منهم أولئك الذين عاشوا في القرون الثلاثة الأولى للإسلام[١].

وإذا كان تحديد مدى الائتلاف والاختلاف بين صوت الضاد وصوت الظاء مدار القسم الأول فإن مدار هذا القسم هو النظر في تطور هذه العلاقة من خلال وصف العلماء في أهم المواقف المنصوص عليها عبر العصور الإسلامية وإلى العصر الحاضر (نهاية العقد الرابع من القرن الخامس عشر الهجري).

(١) النايلة عبد الجبار علوان، الشواهد والاستشهاد في النحو، ط ١ بغداد ١٩٧٣، ص ١٢٤

ومن خلال قراءة المدونة[١] المتضمنة أشهر النصوص المتاحة في المجال، (وبعيدا عن ادعاء الإحاطة) ، يمكن تصنيف هذه النصوص / المواقف تاريخيا إلى ثلاث حقب متميزة:

أ) الحقبة الأولى: على امتداد القرون الثلاثة الأوائل للإسلام (ق١-٣هـ)

ب) الحقبة الثانية: على امتداد القرون الستة الموالية (ق٤ إلى ق٩هـ)

ج) الحقبة الثالثة: ومدتها خمسة قرون (ق١٠ إلى ق١٤هـ)

وبالتأمل في الأقوال والمواقف المتضمنة في المدونة الراجعة إلى كل حقبة يتبين للباحث تطور العلاقة بين الحرفين بشكل متدرج عبر العصور...

فكيف كان رصد ذلك التطور؟

أ) الحقبة الأولى :

تعتبر القرون الثلاثة الأولى للإسلام عند المختصين في العربية وسائر علوم الشريعة، القرون المزكاة لغة وشرعا، ولا جرم، ففيها كان الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعون وأئمة القراء وأصحاب السنن وأئمة مذاهب السنة ورواة اللغة والأدب والأخبار والسير وأصحاب أوائل المصنفات في شتى المعارف العربية الإسلامية...

فهي عند أهل العلم تعرف ب«خير القرون» و «عصر الاستشهاد باللغة» و «بالقرون المزكاة» وكلها عبارات دالة على التقدير والتزكية[٢].

---

(١) المدونة هنا تعني مجموعة النصوص في التراث المتعلقة بالموضوع : العلاقة بين الضاد والظاء.

(٢) أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، طبعة ١٣٧٩ دار المعرفة، بيروت – لبنان ج٧، ص٧ وما بعدها.

ولا غرو في كون هذه الحقبة الأولى تشكل مرجعية قارة للمعارف العربية الاسلامية، فبالإضافة إلى كون صدر الإسلام بدايتها، فقد اشتمل سائرها على لائحة طويلة من العلماء الرواد في العلوم المتنوعة، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر أسماء بعض من أصبحوا أئمة في علوم القرآن والحديث والفقه واللغة والأدب...

مثال من أهل الذكر في الحقبة المرجعية:

ا- من القراء	جـ- من الفقهاء
عبد الله بن عامر اليحصبي الحميري ت١١٨هـ عبد الله بن كثير ت١٢٠هـ عاصم بن أبي النجود الكوفي ت١٢٧هـ أبو عمرو بن العلاء البصري ت١٥٤هـ حمزة بن حبيب الكوفي ت١٥٦هـ نافع بن عبد الرحمن المدني ت١٦٩هـ علي بن حمزة الكسائي الكوفي ت١٨٩هـ	الحسن بن أبي الحسن البصري ت١١٠هـ أبو حنيفة النعمان بن ثابت ت١٥٠هـ مالك بن أنس ت١٧٩هـ محمد بن إدريس الشافعي ت٢٠٤هـ احمد بن حنبل ت٢٤١هـ
ب- من أهل الحديث	د- من أئمة اللغة والأدب
البخاري محمد بن إسماعيل ت٢٥٦هـ مسلم بن الحجاج القشيري ت٢٦١هـ ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن بزيد ت٢٧٣هـ	أبو الأسود الدؤلي ت٦٩هـ الخليل بن أحمد الفراهيدي ت١٧٥هـ سيبويه ت١٨٠هـ

أبو داود سليمان بن اسحاق ت٢٧٥هـ الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى ت٢٧٩هـ النسائي أحمد بن شعيب ت٣٠٣هـ	الأصمعي /عبد الملك بن قريب الباهلي ت٢١٦هـ الجاحظ عمر بن بحر الكناني ت٢٥٥هـ المبرد محمد بن يزيدت٢٨٥هـ أبو علي القالي ٣٥٦هـ وغيرهم كثير ...

فإذا كانت فترة القرون الثلاثة الأولى تشكل المرجعية العلمية السليمة لبنية المعارف الشـــرعية واللغوية فإن التنبه للوافد والاحتراز مما يطرأ بعدها– نقصا أو زيادة أو تعديلا، لأسباب ودوافع مختلفة – مسألة واردة عند القوم، لئلا تكون ذات علاقة بالبدع ومحدثات الأمور(١).

وقد مضى النصف الأول من هذه الحقبة المرجعية دون إثارة الموضـــوع (علاقة الضاد بالظاء) نفيا أو إثباتا حسب علمنا(٢).

(١) المرجع السابق ج١٣ ص٣ وما بعدها.

(٢) تطرق السيوطي في المزهر إلى ظاهرة تبادل بعض الحروف في بعض لهجات العرب غير قريش ومنه تبادل الضاد والظاء في كلمات محددة أورد منها السيوطي أمثلة ترجع إلى فترة القرون المزكاة نقلا عن القالي في الأمالي وغيره.. «قال رجل لعمر بن الخطاب رضـــي الله عنه: يا أمير المؤمنين؛ أيظحَّى بضبي؟ قال: وما عليك وقلت أيضحى بظبي؟ قال: إنها لِغة. قال: انقطع العتاب ولا يضحى بشيء من الوحش». راجع: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد جاد المولى وآخرين، طبعة ١٩٨٦ المكتبة العصرية، بيـــروت – لبنـــان، ج١ ص٥٦٣

ولولا نصوص الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) وسيبويه (ت١٨٠هـ) التي فصلت صفات الحروف ومخارجها حرفا حرفا(صوتا صوتا)، لكان شأن النصف الثاني من هذه الفترة شأن النصف الأول.

لقد حدد الخليل بن أحمد حيز (مخرج) صوت الضاد والجيم والشين بأنها من شجر الفم (مفرجه) وحدد حيز (مخرج) صوت الظاء باللثة[١].

بينما يقول تلميذه سيبويه عن مخرج صوت الضاد إنه «من بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس»، و «ليس شيء من موضعها غيرها»[٢]، ويحدد الظاء بأنها «مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا»[٣].

فالضاد والظاء عند الخليل وسيبويه حرفان متباينان صفة ومخرجا، إذ تفصل بين حيزيهما مخارج ستة حروف هي: الصاد والسين والزاي والطاء والدال والتاء[٤]، وتختص الضاد بالاستطالة.

وتميز سيبويه، من بين معاصريه، بالتنبه إلى وجود(طرو) ضاد ضعيفة مستهجنة في قراءة القرآن الكريم وأشعار العرب، ووصفها بأنها تتكلف من أحد الجانبين[٥].

وبعمل الخليل وسيبويه في تحديد مخارج الحروف وصفاتها يثبت علميا وتاريخيا حصر عدد الحروف (٢٨ أو٢٩حرفا باعتبار الهمزة حرفا غير الألف)،

---

(١) الخليل بن أحمد الفراهيدي / العين، مرجع مذكور، ج١ ص٥٨
(٢) سيبويه / الكتاب، مرجع مذكور ج٤ ص٤٣٢
(٣) المرجع السابق ص ٤٣٣
(٤) الخليل بن أحمد / العين، مرجع مذكور ج١ ص ٥٨
(٥) سيبويه/ الكتاب، مرجع مذكور ج٤ ص ٤٣٣

وتباين آحادها في العربية والقرآن وكلام الفصحاء من العرب في القرون المرجعية الأولى للإسلام(١).

وتلقى القراء القراءات المتواترة عن التابعين والصحابة، كما تلقى أصحاب الحديث والمفسرون وأئمة اللغة والأدب الحديث والتفسير والعربية والأدب... دون أن تثار علاقة صوت الضاد والظاء، فكيف بالدعوة إلى جعل أحدهما بدلا من الآخر؟

إن القول بتشابه الضاد والظاء – الذي سنجده في الحقبة الثالثة – مسألة لغوية صوتية، ولم ترد في كتاب العين ولا الكتاب لسيبويه ولا البيان والتبيين للجاحظ (ت ٢٥٥هـ) ولا الكامل للمبرد (ت٢٨٥هـ) ولا العقد الفريد لابن عبد ربه (المتوفى سنة ٣٢٨هـ) ولا الأمالي للقالي (ت ٣٥٦هـ)، وهي من أمهات مصادر اللغة العربية المصنفة في هذه الحقبة.

إن عدم ورود المسألة في أمهات المصادر في هذه الحقبة المرجعية يدل على:

١. أن الظاهرة غير مرصودة مطلقا في هذه الحقبة في فصحى اللغات(٢).

٢. أن القول بتشابه الضاد والظاء حدث بعد القرون المزكاة.

وهذا ما اتضح في نصوص الحقبة التأسيسية، فماذا عن مواقف العلماء في الحقبتين الثانية والثالثة:

---

(١) الخليل بن أحمد / العين، مرجع مذكور ج١ ص ٥٨.

(٢) يراجع الهامش ٢٩ أعلاه (المزهر للسيوطي)، ثم لزيادة الاطلاع؛ د/أحمد علم الدين الجندي / اللهجات العربية في التراث، طبعة ١٩٨٣، الدار العربية للكتاب.

ب) الحقبة الثانية: من القرن الرابع إلى التاسع الهجري

تميزت هذه الفترة باستحكام الاختلاط اللغوي والعرقي بين العرب المسلمين (المولدين) وغيرهم من أمم الإسلام الأخرى، وكان ذلك سببا في تعميق التأثير المتبادل في الألسنة خاصة وفي العلوم والثقافة عامة.

كما تميزت، في مجال علوم القرآن، بتكاثر طرق الرواية المتفرعة عن القراءات السبع وغيرها.

حيث ظهر ما كان خفيا وقوي ما أصبح ظاهرا من تأثير اللهجات العربية في الفصحى ومن تأثير الألسن الأجنبية على اللسان العربي الفصيح(١)، وبدأت ملامح ذلك تبدو في شيوع اللكنة، وهي التي يعرفها الجاحظ بقوله: «يقال في لسانه لكنة إذا أدخل بعض حروف العجم في حروف العرب وجذبت لسانه العادة الأولى إلى المخرج الأول»(٢).

وتجاوزت الهجنة واللكنة الخطاب اليومي في مدن الأمصار العربية إلى مضارب البادية، وظهرت في لغة العلماء وفي مجال عزيز على الأمة هو لغة الضاد ، لغة القرآن الكريم(٣).

---

(١) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، طبعة ١٤٢٣هـ دار ومكتبة الهلال، بيروت – لبنان، ج١ ص ٥٦ وأبو محمد الحسن بن أحمد الهمذاني، صفة جزيرة العرب، طبعة ١٤٨٤ مطبعة بريل – ليدن، ص١٣٤ – ١٣٦.

(٢) المرجع السابق (الجاحظ، البيان والتبيين) ج١ ص٥٦،

(٣) أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبعة ١٩٩١ مكتبة مدبولي، القاهرة – مصر، الصفحات٣٠-٣٢، ٩٦، ٩٧، ١٢٨، ١٤٦، ١٨٣... ويراجع كتاب: أبي القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، إبراز المعاني من حرز الأماني، طبعة دار الكتب العلمية (د ت)

فانبرى العلماء في هذه الحقبة يتصدون، بالمناظرات والتأليف... لهذه التأثيرات، الرافدة منها والوافدة، حفاظا على القرآن الكريم ولغته، وحرصا على كمال الأداء السليم للتلاوة المتواترة، بعيدا عن تلك التأثيرات الطارئة المتنوعة (المشار إلى بعضها أعلاه)، وقام العلماء بالواجب العلمي المتمثل في الوصف الأمين للأداء السليم المتواتر عن القرون المزكاة بغية التزامه، ثم حذروا من طارئ الأداء السقيم الحادث في أزمنتهم بعد تحديده بالمقارنة بين واقع الأداء اللغوي في أيامهم و ما تواترت روايته عن علماء السلف في الحقبة المرجعية.

ويتفق العلماء في الحقبة الثانية أيضا – نصا أو تلميحا في مراجعهم المذكورة في الجدول اللاحق[١]،على ضرورة بيان أصوات الحروف في تلاوة القرآن الكريم؛ بإعطاء كل حرف صفاته وبإخراجه من مخرجه، ولم يستثنوا من ذلك إلا ما تقتضيه مستلزمات الأداء في القراءات المتواترة من إظهار أو إخفاء ومن بيان أو إدغام...

ولم يرد عنهم- في المراجع المشار إليها حسب اطلاعنا- الدعوة إلى إبدال غير حروف الابدال المعروفة في العربية (هدأت موطيا)[٢]وليس منها الضاد ولا الظاء.

ولم يبلغنا أن أحدا من العلماء دعا- يوما- إلى التخلي عن نطق حرف الضاد بصفاته المرسومة ومخرجه المحدد ليجعل مكانه حرفا غيره جزئيا أو كليا.

بل إن أغلب العلماء في هذه القرون الستة (٤ – ٩) حذر من الخلط بين الضاد والظاء في قراءة القرآن الكريم حسب الاستطاعة لما في الخلط بينهما من

---

(١) هذه أمثلة تعين الباحث على أقصر طريق للوصول إلى مواقف المهتمين بالموضوع من ثقات العلماء وهي غيض من فيض.

(٢) محمد بن مالك الأندلسي، الخلاصة، باب الابدال، حاشية بن حمدون على شرح المكودي، طبعة ١ – ١٩٩٨ دار المعرفة، ج٢ ص ٣١٥.

الإخلال بالألفاظ المؤدي إلى الإخلال بالمعاني في العربية، فضلا عن منع تغيير حرف من القرآن الكريم ما لم ترد به قراءة متواترة[١].

وإذا بحثنا مظان العلاقة بين الضاد والظاء في التراث عند اللغويين والقراء وجدنا القوم إبان هذه الحقبة الثانية قد أوسعوا الموضوع دراسة في ثنايا بحثهم اللساني عموما والتجويدي خصوصا لاسيما في المطالب والأبواب التالية:

- ظاهرة التعاقب في الحروف.
- الإبدال.
- صفات الحروف ومخارجها.
- الإدغام بأنواعه وشروطه.

وهذه شذرات واصفة من نصوص القوم في الموضوع نذكرها على سبيل المثال والاستدلال بعيدا عن دعوى الإحاطة والاستكمال، وما على الباحث والمتطلع إلا التوسع والتنقيب بالرجوع إلى سياقها:

١. قال القالي في كتابه الأمالي[٢]: (مطلب تعاقب الحروف) قال ابن السكيت: «يقال عاد إلى ضئضئه و صئصئه، أي إلى أصله...» وقال الأصمعي: «مضمض لسانه ومصمصه إذا حركه، ومضمض إناءه ومصمصه إذا غسله»[٣].

---

(١) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري، طبعة ٢٠٠٣، دار عالم الكتب، ج١ ص٨٠-٨٥.

(٢) أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، الأمالي، طبعة ١٩٧٨، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الجزء الثاني الصفحة ٢٤

(٣) جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، مرجع مذكور ج١ ص ٤٦٠ والصفحة ٥٥٦،

٢. وفي باب الإبدال قال القالي أيضا: «أما حروف البدل فيجمعها قولنا: طال يوم أنجدته[١]»، يقارن بما ذكره ابن سيده في المخصص الجزء١٣ الصفحة ٢٦٧، وكذلك ابن عصفور في الممتع الجزء ١ الصفحة ٣١٩، وكذلك محمد بن مالك في الخلاصة عند قوله:

أحرف الابدال (هدأته موطيا) ∴ فأبدل الهمزة من واو ويا

٣. وفي ضرورة العناية بحرف الضاد وتمييزه عن غيره، قال مكي بن أبي طالب القيسي في كتابه الرعاية « والضاد أصعب الحروف تكلفا في المخرج وأشدها صعوبة على اللافظ، فمتى لم يتكلف القارئ إخراجها على حقها أتى بغير لفظها وأخل بقراءته»[٢].

٤. وفي هذا السياق قال الداني[٣] المتوفي سنة ٤٤٤هـ «ومن آكد ما على القراء أن يخلصوا حرف الضاد من حرف الظاء بإخراجه من موضعه وإيفائه حقه من الاستطالة ولا سيما في ما يفترق معناه من الكلام فينبغي أن ينعم بيانه ليتميز بذلك»[٤].

---

(١) أبو علي القالي، الأمالي، مرجع مذكور الجزء ٢ الصفحة ١٨٦

(٢) مكي بن أبي طالب القيسي، الرعاية، مرجع مذكور الصفحة ١٥٨

(٣) وقد نظم الداني أربعة أبيات تشتمل على حصر أصول الكلمات الظائية في القرآن الكريم، ليعلم طالب العلم أن غيرها ضاد، وهي:

ظَفِرَتْ شُوَاظُ بِحَظِّهَا مِنْ ظُلْمِنَا ∴ فَكَظَمْتُ غَيْظَ عَظِيمِ مَا ظَنَّتْ بِنَا
وَظَعَنْتُ أَنْظُرُ فِي الظَّهِيرَةِ ظُلَّةً ∴ وَظَلَلْتُ أَنْتَظِرُ الظِّلَالَ لِحِفْظِنَا
وَظَمِئْتُ فِي الظَّلْمَا فَفِي عَظْمِي لَظًى ∴ ظَهَرَ الظِّهَارُ لِأَجْلِ غِلْظَةِ وَعْظِنَا
أَنَظَرْتَ لَفْظِي كَيْ تَيَقَّظَ فَظُّهُ ∴ وَحَظَرْتَ ظَهْرَ ظَهِيرِهَا مِنْ ظُفْرِنَا

مؤلف مجهول، شرح أبيات الداني الأربعة في أصول ظاءات القرآن، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، الطبعة الأولى ٢٠٠٣ دار البشائر للطباعة، دمشق – سوريا، ص ٦

(٤) أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي، التحديد في الإتقان والتجويد، تحقيق د. غانم قدوري الحمد، الطبعة الأولى ٢٠٠٠، دار عمار – عمان، ص ١٦٢

٥. وقال ابن الجزري المتوفى سنة ٨٣٣هـ :«اعلم أن هذا الحرف (الضاد) ليس في الحروف حرف يعسر على اللسان غيره، والناس يتفاضلون بالنطق به... واعلم أن هذا الحرف خاصة إذا لم يقدر الشخص على إخراجه من مخرجه لطبعه لا يقدر عليه بكلفة ولا تعليم»[١].

٦. وفي مجال الإدغام فإن الضاد قوية؛ يدغم فيها غيرها ولا تدغم هي في غيرها إلا نادرا للاستطالة التي فيها، قال ابن عصفور الإشبيلي: «...ثم الضاد ولا تدغم في شيء من مقارباتها، وسبب ذلك أن فيها استطالة وإطباقا واستعلاء وليس في مقارباتها ما يشركها في ذلك كله، فلو ادغمت لأدى ذلك إلى الإخلال بها لذهاب هذا الفضل الذي فيها. (بينما) تدغم فيها الطاء والدال والتاء والظاء الذال والثاء واللام (...) إن الضاد بالاستطالة التي فيها لحقت مخرج الطاء والدال والتاء لأنها اتصلت بمخرج اللام، وتطأطأت عن اللام حتى خالطت أصول ما اللام فوقه إلا أنه لم تقع من الثنية موقع الطاء لانحرافها، لأنك لا تضع لسانك للطاء بين الثنيتين، وقربت بسبب ذلك من الظاء والذال والثاء لأنهن من حروف طرف اللسان والثنايا كالطاء وأختيها، والبيان عربي جيد، لتباعد ما بينها وبينهن»[٢].

٧. قال الماوردي علي بن محمد بن حبيب (ت٤٥٠ هـ)[٣] في كتابه الأحكام السلطانية في حكم الصلاة بمن يغير نطق بعض الحروف : « وإن أم الثغ

---

(١) شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، التمهيد في علم التجويد، تحقيق د. علي حسين البواب، الطبعة الأولى ١٩٨٥، مكتبة المعارف، الصفحة ١١٥

(٢) أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد (ابن عصفور)، الممتع في التصريف، الطبعة الأولى ١٩٩٦، مكتبة لبنان، ص ٤٣٨ – ٤٣٩

(٣) أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق د. أحمد مبارك البغدادي، الطبعة الأولى، ١٩٨٩، مكتبة دار ابن قتيبة – الكويت، الصفحة ١٣٢

أو أخرس يبدل الحروف بأغيارها بطلت صلاة من ائتم به إلا أن يكون (المأموم) على مثل خرسه أو لثغه»[١].

٨. قال ابن كثير إسماعيل بن كثير القرشي(ت٧٧٤): «مسألة: والصحيح من مذاهب العلماء أنه يغتفر الإخلال بتحرير ما بين الضاد والظاء لقرب مخرجيهما (...) ولأن كلا من الحرفين من الحروف المجهورة ومن الحروف الرخوة ومن الحروف المطبقة فلهذا كله اغتفر استعمال أحدهما مكان الآخر لمن لا يميز ذلك والله أعلم»[٢].

٩. يقول الشيخ خليل بن إسحاق (ت٧٧٦) في سياق ضرورة التمييز بين الحرفينفي قراءة الفاتحة في الصلاة: «وبطلت باقتداء بمن بان كافرا أو امرأة...»«وهل بلاحن مطلقا أو في الفاتحة وبغير مميز بين ضاد وظاء خلاف»[٣].

من هذه الشذرات التي تمثل المواقف يتضح ما يلي:

١. حصر حروف الإبدال في عدد محدد بشكل مقيس ثم ذكر أمثلة غير مطردة من تعاقب الحروف.

---

(١) "الألثغ الذي لا يستطيع أن يتكلم بالراء، وقيل هو الذي يجعل الراء في طرف لسانه أو يجعل الضاد ظاء، وقيل هو الذي يتحول لسانه من السين إلى الثاء" (ابن سيده في المحكم برواية السيوطي في المزهر ج١ ص٥٦٦.

(٢) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الطبعة الثانية ١٩٩٩، دار طيبة للنشر والتوزيع ج١ ص١٤٣

(٣) خليل بن إسحاق بن موسى، ضياء الدين الجندي المالكي المصري، المختصر، تحقيق أحمد جاد، الطبعة الأولى ٢٠٠٥ دار الحديث القاهرة – مصر، ص ٤٠

٢. ملاحظة العلماء، في الفترة الثانية، اختلاط صوت الحرفين (الضاد والظاء) عند العامة فحذروا من ذلك الخلط لهما؛ داعين للتمييز بينهما خاصة في قراءة القرآن الكريم.

٣. وقوف العلماء من اللغويين والقراء والفقهاء في وجه خلط العامة بين صوت الحرفين وتحذيرهم للقادرين على التمييز من تعمد عدم التمييز بينهما.

٤. اعتبار الخلط بين صوت الحرفين نقصا ؛ سببه أحد عيوب النطق كاللكنة واللثغة وغيرهما.

ولعل من المفيد – قبل الانتقال إلى الفترة الثالثة – رصد قائمة من مصادر الموضوع خلال الحقبة الثانية يستنير بها طلعة الباحثين المستزيدين في تحقيق العلاقة بين الحرفين وكيف تطورت بعد عصور الاستشهاد.

جدول بمراجع(ومظان)مدونة الشذرات الواصفة في الحقبة الثانية:

اسم العالم	تاريخ وفاته	المرجع	النشر
القالي إسماعيل بن القاسم	ت٣٥٦هـ	الأمالي ج٢ ص١٨٦	د.ف(١).بيروت (د.ت)
ابن جني عثمان	ت٣٩٢هـ	سر صناعة الاعراب ص ٧٠	د.ك.ع١٩٩٩م
مكي بن أبي طالب	ت٤٣٧هـ	الرعاية ص١٥٨	دمشق١٩٧٣م
الداني عثمان بن سعيد	ت٤٤٤هـ	المقنع ، التيسير....	د.ك.ع.١٩٩٦م
الماوردي علي بن محمد	ت٤٥٠هـ	الأحكام السلطانية	د.ك.ع.بدون تاريخ
ابن سيده علي ابن إسماعيل	ت٤٥٨هـ	المخصص ج١٣ ص ٢٦٧	د.ف.بيروت (د.ت)
الخفاجي عبد الله بن سنان	ت٤٦٦هـ	سر الفصاحة ص٤٨	القاهرة بدون تاريخ
الشاطبي القاسم بن فيرة	ت٥٩٠هـ	حرز الأماني ووجه التهاني	مصر ١٣٨٦هـ
ابن يعيش علي بن يعيش	ت٦٤٣هـ	الشرح المفصل ج١ ص٧	د.ف. بيروت (د.ت)
أبو شامة عبدالرحمن	ت٦٦٥هـ	ابراز المعاني من حرز	مصر بدون تاريخ
الاشبيلي بن عصفور	ت٦٦٩هـ	الأماني	بيروت ١٩٧٩م
القرطبي محمد بن أحمد	ت٦٧١هـ	المتع في التصريف ج١ و٢	بيروت بدون تاريخ
ابن مالك محمد بن عبد الله	ت٦٧٢هـ	ج.لأحكام القرآن ج١ص٨٠	بيروت ١٩٩٢م
ابن تيمية أحمد	ت٧٢٨هـ	الاعتضاد ، الخلاصة	الرباط بدون تاريخ
ابن بري علي بن محمد	ت٧٣١هـ	الفتاوى ج٢٣ ص ٣٥٠	بيروت ١٩٩٨م
ابن كثير اسماعيل بن كثيير	ت٧٧٤هـ	الدر اللوامع ص١٦٠	د.ف. بيروت (د.ت)
خليل ابن اسحاق المالكي	ت٧٧٦هـ	تفسيره ج١ ص ٥٨	د.ف. بيروت (د.ت)
ابن الجزري محمد بن محمد	ت٨٣٣هـ	المختصر (وشراحه)	د.ف. بيروت (د.ت)
السيوطي جلال الدين	ت٩١١هـ	النشر في القراءات العشر الإتقان /و المزهر	بيروت ١٩٩٢م

(١) توضيح لبعض الرموز الواردة في الجدول: د. ف = دار الفكر/ د.ت = بدون تاريخ / د ك ع= دار الكتب العلمية

ج) الحقبة الثالثة:

وتمتد على طول القرون الخمسة الأخيرة (ق١٠ – ١٤هـ).

ومع كون هذه الفترة تشكل امتدادا علميا للحقبة السابقة في الغالب العام، فإنها عرفت تطورا بالغا في شتى المجالات العلمية، ولكن التطور الذي عرفته في مجال العلاقة بين صوتي الضاد والظاء كان جذريا.

كان ذلك التطور عندما قام بعض حملة القرآن الكريم بالدعوة إلى نطق الضاد ظاء؛ بدعوى فساد نطق الضاد الفصيحة عند العامة (علي بن محمد بن غانم المقدسي ت ١٠٠٤هـ) في كتابه بغية المرتاد لتصحيح حرف الضاد.

وبالمقارنة بين محتوى الخطاب في الحقبة الثانية (طلب العناية بالتمييز بين الصوتين ومضمون دعوة بن غانم ومن تابعه (المزج بين الصوتين ندرك مدى التطور المفاجئ الحادث في رأي بعض العلماء اتجاه الموضوع.

ورغم الجدل الذي أثاره والمناظرات –التي نقل أنه رجع في نهايتها عن دعوته كليا أو جزئيا– فإن تأثير رسالته (بغية المرتاد في تصحيح الضاد) سرى إلى آخرين بعده.

يقول عبد الرزاق بن علي القارئ بالحرم الشريف[1]:

«أول من ادعى أن النطق بالضاد كالظاء أو ممزوجة به ما نسب إلى الشيخ علي بن محمد بن غانم المقدسي (ت ١٠٠٤هـ) في بغية المرتاد لتصحيح حرف الضاد ...» وهي رسالة ألفها سنة ٩٨٥هـ، ثم رجع عن ذلك بعد مناظرة الشيخ شحاذة اليمني له بحضور عدد من القراء في وقته. ثم «اعتذر بأنه لا يقول

(١)عبد الرزاق بن علي/ الفوائد التجويدية في شرح المقدمة الجزرية، مرجع مذكور، ص ١٠٧

بامتزاج الضاد بالظاء وإنما يقول باختلاس[١] الضاد ليضعف إطباقها وتخف قوتها».

ثم أتى الشيخ محمد المرعشي (ت ١١٥٠هـ) المعروف بساجلقي زاده، فجدد دعوة الشيخ بن غانم المقدسي في كتابه (كيفية أداء الضاد) يذكر فيه تحريف الضاد واشتباهها بالظاء في اللفظ والسمع.

فرد عليه الشيخ أبو عبد الله محمد بن يوسف المعروف بافندي زاده، في رسالة فنّد فيها أقواله[٢].

وقد تأثر بهذه الدعوة بعض العلماء قبل المقارنة السليمة بما تواتر عن القرون المزكاة من بيان الحروف والكلمات...إلى آخر ما تقتضيه الفصاحة واستقامة الطبع وسلامة الذوق وتناقلته ثقات الخلف عن ثقات السلف من عهد التدوين وما بعده جيلا فجيلا. وممن تأثروا بهذه الدعوة الشيخ سليمان البروسي نزيل الأزهر «سنة ١٢٨٠هـ الذي لخص من بغية المرتاد وجهد المقل رسالة في الضاد، وأخذ في نشرها حتى قامت فتنة عظيمة في الأزهر فقام الشيخ أحمد مقيبل واستفتى في أمره مفتي السادة المالكية فأفتى بضربه وحبسه ورفع أمره إلى الشيخ خليفة... شيخ المقاري ووكيل الأزهر فاستحضره ومن تبعه واستتابهم فتابوا ورجعوا إلى الصواب»[٣].

---

(١) الاختلاس أو الاخفاء "هو أن يأتي القارئ بثلثي الحركة، وذلك بإضعاف الصوت قليلا عند النطق بالحركة بحيث يكون الباقي منها أكثر من الذاهب. (عبد الجبار علوان النابلة، مرجع مذكور، ص ١١٥).

(٢)عبد الرزاق بن علي/ الفوائد التجويدية في شرح المقدمة الجزرية، مرجع مذكور، ص ١٠٨

(٣) المرجع السابق ص ١٠٩

التطور الثاني الذي شهدته هذه الحقبة الثالثة هو قول بعضهم بانعدام حرف الضاد أو فساده من العربية أو من أداء الناس للحروف؛

وكان من بين القائلين بهذا الرأي آحاد من علماء المسلمين، وآخرون من أبناء الأمم الأخرى (من المستشرقين).

وهذه فقرات من أقوالهم تدل على آرائهم ومواقفهم:

- **نبدأ برأي بعض علماء المسلمين**:

١ــ يقول حسام سعيد النعيمي بعد أن تكلم على ما قبل حرف الضاد من الحروف:

«وأما الضاد فليس في العرب اليوم (بداية القرن ١٥هـ) من ينطق بها كما كان العرب يفعلون وكما وُصفتْ لنا في كتبهم فلا موضع للكلام عليها»(١).

٢ــ أحمد بن الأمين الشنقيطي في كتابه الوسيط في تراجم أدباء شنقيط:

«كل أهل شنقيط ينطق بالضاد الموجودة في مصر وغيرها ، سوى العلامة اللقن الفهم محمد فال بن باب حفظه الله فإنه ينطق بها قريبة من الظاء المألوفة ، وكان أحدث القراءة بهذه الضاد ، بعد أن رجع من الحج في آخر أيام السلطان مولاي الحسن رحمه الله ، وقد أنكر عليه بعض أهل شنقيط ذلك»(٢).

«وقدمت من القسطنطينية سنة ١٣١٩ والتقيت ببعض أفاضل أهل الشام فذكروا أن الفقيه الصالح عبد الحكيم الأفغاني رحمه الله، ذكر أن الضاد التي ينطق

---

(١) حسام سعيد النعيمي، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، الطبعة الأولى ١٩٨٠، دار الطليعة للطباعة والنشر – بيروت – لبنان، ص ٣١٧

(٢) أحمد بن الأمين الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، الطبعة الرابعة، مؤسسة منير موريتانيا، ١٩٨٩، ص٥١٥

بها الدمشقيون وغيرهم غير فصيحة، منكرين ذلك عليه، فقلت لهم: هذا الذي قال: قال به أحد علمائنا أعني محمد فال المتقدم وهو ظاهر ما في الكتب: فقالوا لي: اكتم هذا وإلا نفيت أنت وهو من دمشق، وذكروا أن العلماء سلطوا عليه الوالي فنهاه عن القول بذلك، فطلب منه المحاكمة إلى ما في الكتب بينه وبين العلماء فما قبل...»

يواصل أحمد بن الأمين الشنقيطي كلامه قائلا:

«والحاصل أن هذه الضاد المألوفة عندي وعند غيري غير فصيحة لأنها تباين التي وصفها سيبويه (...)فعلمت أن الضاد التي ينطق بها أكثر الناس غير التي مضت صفتها، وأنها أقرب إلى الدال منها إلى الضاد المذكورة (...) وقد أطلنا في هذين الحرفين (الجيم والضاد) لفساد الأول عند المغرب ولفساد الثاني عند الجميع»(١).

٣ــ مناف مهدي محمد في كتابه علم الأصوات اللغوية:

«يختلف نطق الضاد في الوقت الحاضر عن نطقه القديم: فهو يسمع الآن (مطلع القرن١٥هـ) في بعض البلاد العربية صوتا شديدا مجهورا مطبقا، وهو النظير المجهور للطاء، كما تعد المقابل المفخم للدال (...) وفي بعض البلاد العربية الأخرى شبيهة بنطق الظاء تماما، وكلا النطقين انحراف عن الأصل»(٢).

- **ثانيا** : مثالان من أقوال المستشرقين في الموضوع ممن قالوا باضمحلال حرف الضاد من اللسان العربي:

---

(١) المرجع السابق ص ٥١٧

(٢) مناف مهدي محمد، علم الأصوات اللغوية، الطبعة الأولى ١٩٩٨ عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ص٦٢-٦٣)

١. المستشرق هانري فليش:

«ولقد كان العرب يتباهون بنطقهم الخاص لصوت الضاد، وهو عبارة عن صوت مفخم يحتمل أن يكون ظاء جانبية في الأصل، أي أنه كان يجمع الظاء واللام وقد اختفى هذا الصوت فلم يعد يسمع في العالم العربي، وأصبح بصفة عامة إما مطبق الدال وإما صوتا اسنانيا وهو الظاء»(١).

٢. المستشرق الألماني براجستراوس:

«أما الضاد فهي الآن (ق١٤هـ) شديدة عند أكثر أهل المدن، وهي رخوة عند القدماء كما هي الآن عند أكثر أهل البدو، ومع ذلك فليس لفظها البدوي الحاضر نفس لفظها العتيق، لأن مخرج الضاد عند القدماء من حافة اللسان ومن القدماء من يقول بجانبه الأيسر ومنهم من يقول بجانبه الأيمن ومنهم من يقول من كليهما»(٢).

بعد هذا العرض، يمكن رصد محتوى نصوص الحقبة الثالثة في قضايا وتطورات جوهرية منها:

أ. استمرار فحوى خطاب الحقبة الثانية في الحقبة الثالثة، الذي يتضمن الحرص على سلامة الأداء والتحذير من التأثيرات المختلفة (الشيخ اليمني، الشيخ خليفة الصفتي، الشيخ أحمد مقيبل.. وغيرهم).

---

(١) هنري فليش، العربية الفصحى ــ ترجمة الدكتور عبد الصبور شاهين ــ بيروت ١٩٦٩، ص ٣٧

(٢) رمضان عبد التواب، مدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، الطبعة الثالثة ١٩٩٧، مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر، ص ٦٥

ب.حدوث القول بعلاقة حميمة بين الضاد والظاء تبدأ بوصف واقع النطق في جماهير الأمة (العامة)، وتنتهي تدريجيا إلى تغليب حرف الظاء (المقدسي، المرعشي، والأفغاني، والبروسي، ومحمد فال بن باب، وأحمد بن الأمين الشنقيطي، ومن تابعهم في قولهم).

ج.نعي الضاد الفصيحة من لسان العرب (المنطوق) واتخاذ ذلك مسوغا لنطق الضاد ظاء كليا أو جزئيا بدلا منها (هنري فليش ، برجستراوس، حسام سعيد ، مناف مهدي محمد ومن على شاكلتهم في القول بصواب جعل الضاد ظاء...)

د. اتفاق أصحاب هذه المواقف على صحة مرجعية الحقبة الأولى (القرون المزكاة) ثم بعد ذلك تتنوع مواقفهم وآراؤهم في غير ذلك لأسباب لا مجال لحصرها هنا إن كان إلى حصرها من سبيل.

خلاصة القسم الثاني:

أولا: تنقسم العصور الإسلامية فيما يتعلق بعلاقة الضاد بالظاء إلى ثلاث حقب.

١- القرون الثلاثة الأولى، القرون المزكاة لغة وشرعا، ولم ينقل عنها ما يثبت أوينفي العلاقة بين الحرفين، وإن شهد آخرها تدوين مخارج الحروف وصفاتها وحصر عددها، وقد انقضت هذه الحقبة دون القول باشتباه الحرفين أو اتحادهما في اللسان المضري (حسب ما لدينا من مراجع).

٢- القرون الستة الموالية (من ق٤ – ٩هـ)، تميزت هذه الحقبة عن سابقتها بأمور منها مما يتعلق بالموضوع:

- ظهور اختلاط الضاد بالظاء عند العامة لأسباب حضارية وعرقية وعلمية.
- ملاحظة جمهور العلماء لهذه الظاهرة خاصة منهم القراء وعلماء اللغة والفقهاء.
- تحذير العلماء بعضهم بعضا من الوقوع في الخلط بين الحرفين وتنبيه بعضهم بعضا على ضرورة الاعتناء بتمييز الضاد من غيرها خاصة الظاء (مكي بن أبي طالب، وابن الجزري، والماوردي، وخليل بن إسحاق.. وغيرهم) لما يترتب على الخلط بينهما من فساد اللسان وتغيير القرآن الكريم وتحريف المعاني.

٣- القرون الخمسة الأخيرة (من ق١٠ – ١٤هـ)، وقد عرفت هذه الحقبة – زيادة على استمرار ما عرفته سابقتاها – في مجال البحث:

- ظهور القول بصحة اشتباه الضاد بالظاء (علي بن محمد بن غانم المقدسي (ت١٠٠٤) ومن تبعه)

- القول بانتفاء – أو فساد – حرف الضاد في لسان العرب (المنطوق)، هنري فليش، برجستراوس، وحسام سعيد،وأحمد بن الأمين الشنقيطي.
- القول باتحاد الضاد بالظاء في السمع والنطق (أصحاب القولين السابقين مع تفاوت في نصوصهم).

ثانيا: صورة عن الواقع اليوم (مطلع القرن ١٥هـ):

يمكن القول بوجود أصحاب كل المواقف السابقة مبثوثين في مشارق الأرض ومغاربها وفي أي بقعة من الكرة الأرضية دخلها الاسلام ولغته العربية.

وهم باختصار :

أ. متمسك بنطق الضاد ضادا، ونطق الظاء ظاء بوصفهما حرفين نزل بهما القرآن الكريم متمايزين بدليل خط المصحف والقراءة المتواترة، وهو ما عليه جمهور قراء هذا العهد ق١٥هـ.

ب. داع إلى نطق الضاد ظاء أو ممزوجة بالظاء أو متحدة به تحرزا من نطق الضاد دالا مفخمة أوطاء أو لاما أو غيرها (وهو ما قام به آحاد من قراء هذا العهد وعلمائه).

ج. ناع لحرف الضاد في لغة الضاد كليا أو جزئيا (وهو مما قال به بعض المستشرقين).

د. باحث عن الحقيقة الصحيحة لنطق الحرفين لما يترتب على ذلك من إقامة اللسان وعدمها، ولما يترتب على ذلك من واجبات عينية تتعلق بصحة صلاة المسلم المكتوبة وأداء القرآن الكريم باللسان العربي المبين الذي نزل به.

وأغلب هذا القسم جماهير الأمة وطلبة العلم خاصة في المحاضر ومعاهد القرآن الكريم.

نتائج الدراسة:

بعد الاطلاع على جملة من النصوص المعبرة عن موقف العلماء من العلاقة بين الضاد والظاء عبر التاريخ العربي الإسلامي الممتد، أصبح بالإمكان رصد أهم مكامن الخلاف إلى جانب وجوه الاتفاق ليكون الطالب والباحث المستزيدان في استقصاء الموضوع بشكل علمي، بالوصف أو بالمعيار، على ذكر من بعض ما تضمنه تناول أهل الشأن في السياق...دون ادعاء الحصر والاستقصاء بل على سبيل العينات والانتقاء:

أ. من مكامن الخلاف:

١. اعتبار الضاد والظاء متقاربين (أو متشابهين): لمجرد اشتراكهما في صفات الجهر والاستعلاء والاطباق والإصمات والرخاوة والتفخيم مع اختلافهما: بكون الضاد شجرية حيز المخرج، مستطيلة ، متفشية، قوية وبكون الظاء لثوية حيز المخرج، غير مستطيلة، وغير متفشية، ومتوسطة القوة؟[١].

٢. هل تشابه الحرفين في العامية دليل على صحة تشابههما في الفصحى أو هو من لحن العامة ينبغي التحذير منه والتحرز من الوقوع فيه؟

٣. إشكال التعامل مع تقارب الحرفين، إن ثبت؛ هل هو مدعاة للعمل على توحيدهما في حرف واحد (أو ما يشابه الحرف الواحد) أم هو مدعاة للحرص على التمييز بينهما حتى لا يصبحا حرفا واحدا؟

٤. مفهوم اللحن في الفاتحة: رغم الاتفاق على أن تعمد اللحن في الفاتحة مبطل للصلاة إلا أن مفهوم اللحن نفسه مثار الخلاف: ما هو اللحن في الفاتحة هل

(١) عبد الرزاق بن علي / الفوائد التجويدية في شرح المقدمة الجزرية ص١٠٨.

اللحن هو نطق الضاد متميزا عن الظاء تميزا ظاهرا أم اللحن هو نطق الضاد ظاء (كليا أو جزئيا)؟

٥. الموقف من غير المميز بين صوت الضاد والظاء للعجز أو للجهل: هل المطلوب منه التمادي في عدم التمييز بينهما (إما لأنه الصواب أو لأنه رخصة تحولت عزيمة) ،أم المطلوب منه بذل الجهد للتمييز بين الحرفين تعلما وتدريبا ؟

ب. أما وجوه الاتفاق: فإن الجميع –حسب اطلاعي المحدود –يكاد يكون متفقا على معطيات ماثلة تشكل دائرة المرجعية والاقتناع عند علماء المسلمين، ومنها:

١) أن القرآن الكريم إنما نزل على محمد صلى عليه وسلم باللسان العربي الفصيح في أنصع حروفه وأفصح ألفاظه وأبلغ أساليبه...

٢) أن الحروف العربية تتألف من ثمانية وعشرين حرفا متباينة بأعيانها لفظا وسمعا وخطا بما فيها الضاد والظاء، وأنها وردت كلها في القرآن الكريم ورسمت في المصحف العثماني بأشكال متغايرة ورويت بالمشافهة المتواترة متمايزة في كل القراءات المعتمدة ...

٣) أن المعتمد عند جمهور علماء المسلمين في تحديد صفات الحروف ومخارجها وعددها إنما هو ما كانت عليه الأمة إبان صدر الإسلام والقرون المزكاة لغة وشرعا (وهو نطق الضاد ضادا خالصة) أما ما حدث بعد ذلك فهو من محدثات الأمور: مثار جدل...

٤) أن رسم المصحف العثماني محل اتفاق الأمة ويشكل مرجعية المسلم لالتزامه وعدم مخالفته بالزيادة أو النقص أو التغيير...

٥) أن العدد الوارد في القرآن من كل حرف إنما يقرأ بذلك الحرف لا بغيره (إلا ما اقتضته قواعد الأداء اللغوي من إدغام ونحوه)، وقد أحصى صاحب مناهل العرفان عدد ورود الضاد في القرآن ١٦٨٧مرة وورود الظاء ٨٤٥ مرة فعلى المسلم قراءة الضاد ضادا والظاء ظاء (حسب الطاقة).

٦) الاتفاق على تنزيه القرآن الكريم عن تعمد القراءة بالمعيب من النطق (ومنه اللكنة واللثغ والعفت واللحن...) لأن القرآن كلام الله المنزل على أفصح الخلق صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ . عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ . بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾[1].

(١) سورة الشعراء، الآيات من ١٩٢ – ١٩٥.

قائمة المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم

٢. أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المارغني التونسي، النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع، طبعة ١٩٩٥ دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت لبنان،

٣. أبو الحسن علي بن محمد الخولاني المقرئ، حصر حرف الظاء، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، الطبعة الأولى ٢٠٠٣ دار البشائر للطباعة، دمشق – سوريا،

٤. أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق د. أحمد مبارك البغدادي، الطبعة الأولى، ١٩٨٩، مكتبة دار ابن قتيبة – الكويت

٥. أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد (ابن عصفور)، الممتع في التصريف، الطبعة الأولى ١٩٩٦، مكتبة لبنان

٦. أبو الفتح عثمان بن جني، سر صناعة الإعراب، ط١، ٢٠٠٠، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٧. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الطبعة الثانية ١٩٩٩، دار طيبة للنشر والتوزيع

٨. أبو الفرج محمد بن عبيد الله بن سهيل النحوي، الضاد والظاء، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، الطبعة الأولى ٢٠٠٣ دار البشائر للطباعة، دمشق – سوريا،

٩. أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، طبعة ١٣٧٩، دار المعرفة، بيروت – لبنان.

١٠. أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، إبراز المعاني من حرز الأماني، طبعة دار الكتب العلمية (د ت)

١١. أبو بكر عبد الله بن علي الشيباني الموصلي، الفرق بين الضاد والظاء، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، الطبعة الأولى ٢٠٠٣ دار البشائر للطباعة، دمشق – سوريا،

١٢. أبو بكر محمد بن أحمد الصابوني، معرفة الفرق بين الضاد والظاء، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، الطبعة الأولى ٢٠٠٣ دار البشائر للطباعة، دمشق – سوريا،

١٣. أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري، طبعة ٢٠٠٣، دار عالم الكتب،

١٤. أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبعة ١٩٩١ مكتبة مدبولي، القاهرة.

١٥. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، طبعة ١٤٢٣هـ دار ومكتبة الهلال، بيروت – لبنان،

١٦. أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، الأمالي، طبعة ١٩٧٨، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،

١٧. أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي، التحديد في الإتقان والتجويد، تحقيق د. غانم قدوري الحمد، الطبعة الأولى ٢٠٠٠، دار عمار – عمان،

١٨.أبو محمد الحسن بن أحمد الهمذاني، صفة جزيرة العرب، طبعة ١٤٨٤ مطبعة بريل – ليدن،

١٩.أبو محمد عبد الله بن محمد الخفاجي الحلبي، سر الفصاحة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ١٩٨٢

٢٠.أحمد بن الأمين الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، الطبعة الرابعة، مؤسسة منير موريتانيا، ١٩٨٩،

٢١.جمال الدين محمد بن مالك الطائي الجياني، الاعتماد في نظائر الظاء والضاد، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، الطبعة الأولى ٢٠٠٣ دار البشائر للطباعة، دمشق – سوريا،

٢٢.حاتم الضامن، مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد ٣٢، ٣٣، بغداد ١٩٨٢.

٢٣.حسام سعيد النعيمي، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، الطبعة الأولى ١٩٨٠، دار الطليعة للطباعة والنشر – بيروت – لبنان،

٢٤.الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، الجزء الأول، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ط١، دار الرشيد ١٩٨٠.

٢٥.خليل بن إسحاق بن موسى، ضياء الدين الجندي المالكي المصري، المختصر، تحقيق أحمد جاد، الطبعة الأولى ٢٠٠٥ دار الحديث القاهرة – مصر،

٢٦.رمضان عبد التواب، مدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، الطبعة الثالثة ١٩٩٧، مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر،

٢٧.شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، التمهيد في علم التجويد، تحقيق د. علي حسين البواب، الطبعة الأولى ١٩٨٥، مكتبة المعارف

٢٨.صبحي صالح/ مباحث في علوم القرآن، طبعة دار العلوم (د ت)

٢٩.عبد الرحمن بن خلدون/ المقدمة، ط٤، دار القلم ١٩٨١ بيروت – لبنان

٣٠.عبد الرزاق بن علي/ الفوائد التجويدية في شرح المقدمة الجزرية ط١/ ١٩٩٧ المدينة المنورة

٣١.عبد الفتاح إبراهيم، مدخل في الصوتيات، دار الجنوب، تونس (د، ت)

٣٢.عمر بن عثمان (أبو بشر) سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، ط٣، عالم الكتب، ١٩٨٣ ج٤.

٣٣.محمد بن مالك الأندلسي، الخلاصة، باب الابدال، حاشية بن حمدون على شرح المكودي، طبعة ١ – ١٩٩٨ دار المعرفة،

٣٤.محمد خالد العطار، المجموع الكامل للمتون، ط١، ١٤٢٧هـ دار الفكر بيروت لبنان،

٣٥.المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد جاد المولى وآخرين، طبعة ١٩٨٦ المكتبة العصرية، بيروت – لبنان،

٣٦.مناف مهدي محمد، علم الأصوات اللغوية، الطبعة الأولى ١٩٩٨ عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع

٣٧.مؤلف مجهول، شرح أبيات الداني الأربعة في أصول ظاءات القرآن، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، الطبعة الأولى ٢٠٠٣ دار البشائر للطباعة، دمشق – سوريا،

٣٨.النايلة، عبد الجبار علوان، الشواهد والاستشهاد في النحو، ط١ بغداد ١٩٧٣،

٣٩.هنري فليش، العربية الفصحى ــ ترجمة الدكتور عبد الصبور شاهين ــ بيروت ١٩٦٩

٤٠.يوسف بن إسماعيل المقدسي، الظاء، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، الطبعة الأولى ٢٠٠٣ دار البشائر للطباعة، دمشق – سوريا،

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	رقم الصفحة
١	بنية البحث	٥٠٢٧
٢	ملخص الدراسة	٥٠٢٧
٣	منهج الدراسة	٥٠٢٨
٤	تأطير	٥٠٢٩
٥	القسم الأول العلاقة بين الحرفين من خلال النصوص التأسيسية	٥٠٣١
٦	أولا : الأحياز /المخارج	٥٠٣١
٧	ثانيا: الصفات	٥٠٣٦
٨	ثالثا: المقارنة بين الصوتين /الحرفين	٥٠٤٠
٩	رابعا: في الفويرقات الدقيقة	٥٠٤١
١٠	خلاصة القسم الأول:	٥٠٤٢
١١	القسم الثاني : تطور العلاقة بين الحرفين عبر العصور الإسلامية في ضوء وصف العلماء :	٥٠٤٣
١٢	الحقبة الأولى :	٥٠٤٤
١٣	الحقبة الثانية: من القرن الرابع إلى التاسع الهجري	٥٠٤٩
١٤	الحقبة الثالثة:	٥٠٥٧
١٥	خلاصة القسم الثاني:	٥٠٦٣
١٦	نتائج الدراسة:	٥٠٦٥
١٧	قائمة المصادر والمراجع:	٥٠٦٨
١٨	فهرس الموضوعات	٥٠٧٣